البناء

السنة السادسة / الاثنين / 4 آب 2014 / العدد 1550
Sixth year / Monday / 4 August 2014 / Issue No. 1550

العدوان على غزة وأزمات حكومة نتنياهو

■ حميدي العبدالله

معلق عربي في إحدى القنوات الفضائية الملتزمة خيار المقاومة، مختص بالشؤون «الإسرائيلية»، لخّص أزمات ومآزق نتنياهو في اليوم الثالث والعشرين على العدوان على غزة بثلاث أزمات أو مآزق:

أزمة الخيارات العسكرية والسياسية. والمقصود أن المجلس الوزاري المصغر الذي توالت اجتماعاته منذ اليوم الأول على العدوان كانت هناك مسألة مركزية وحيدة على جدول أعماله، وهي وقف العدوان أو العمل على توسيعه، ولكنه فشل في تحديد الخيار، فهو عاجز عن اتخاذ قرار بوقف العدوان خوفاً من تداعيات الفشل على استمرار التحالف الحكومي القائم، لا سيما أن التهديد بفرط التحالف بمبادرة أفيغدور ليبرمان، هي التي دفعت نتنياهو لشن العدوان العسكري، حيث كان نتنياهو يخشى التورط في هذه المغامرة التي ستكون من أولى نتائجها السياسية الإطاحة بحكومته، وإنهاء حالة الاستقرار الحكومي المستمرة منذ أكثر من أربع سنوات للمرة الأولى منذ حرب تشرين عام 1973، كما أنه عاجز عن اعتماد خيار توسيع العدوان العسكري باستثناء تصعيد القصف الهمجي للأحياء الآهلة بالسكان، لأن توسيع العدوان وإصدار أوامر للجيش بالتوغل في غزة سيضاعف عدد الجنود القتلى، وسيتحول العدوان ليس فقط إلى فشل، بل إلى كارثة، ولهذا يتردد المجلس المصغر بالمصادقة على قرار توسيع العدوان، وهكذا تقف حكومة نتنياهو عاجزة أمام مأزق توسيع العدوان أو وقفه لما يترتب على أي خيار من الاثنين أضرار سياسية كبيرة.

أزمة إنجازات ميدانية، إذ على رغم مرور حوالى أربعة أسابيع على العدوان لم تحقق حكومة العدو وجيشها أي إنجازات ميدانية يعتدّ بها، ولم تتوغل قوات الاحتلال البرية، سوى بضعة أمتار في أرض مكشوفة، وحتى هذا التوغل دفعت ثمنه غالياً حوالى 63 قتيلاً وأكثر من 130 جريحاً بحسب ما سمحت الرقابة العسكرية بنشره، في حين أن المقاومة تكشف كل يوم عن إنجازات ميدانية موثقة لعل أبرزها تسلل مقاتلين من كتائب القسام خلف خطوط العدو ومهاجمة مستوطناته الواقعة في «غلاف غزة» وتكبد القوات الصهيونية خسائر كبيرة، إضافة إلى أسر ضابط صهيوني.

أزمة علاقات مع الإدارة الأميركية تجلت بالمحادثة الهاتفية العاصفة والمتوترة بين الرئيس أوباما ورئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو، حيث طلب أوباما من نتنياهو القبول بوقف فوري لإطلاق النار، محذراً من خسارة «إسرائيل» للدعم الدولي لها، وعجز الولايات المتحدة عن مواصلة تقديم التغطية لاستمرار المجازر في غزة، والأهم من ذلك أن ورقة نتنياهو الوحيدة للخروج من المأزق بأقل الأضرار هي بيد أوباما الذي يمتلك مفتاح الضغط على حماس عبر تركيا وقطر لوقف العدوان عند صيغة تحفظ ماء وجه حكومة نتنياهو، أوعلى الأقل ماء وجه الجيش «الإسرائيلي» الذي فشل فشلاً ذريعاً.

هذه المآزق أو الأزمات الثلاث، تشير إلى مستوى التحول الاستراتيجي والتاريخي في معادلة الصراع العربي – الإسرائيلي، حيث سيكون تاريخ هذا الصراع بعد هذه المعادلة غير ما كان عليه قبلها.

العلاقة الكرديّة ـ «الإسرائيلية» من تحت الطاولة إلى مسرح التعرّي

■ طاهر محي الدين

إن علاقة الأكراد بـ«الإسرائيليين» ليست جديدة وتعود بداياتها إلى عام 1943، أي قبل قيام الدولة «الإسرائيلية»، وقام ممثلون من «الموساد الإسرائيلي» بزيارة المواقع الكردية في شمال العراق في الستينيات، وكانت الاتصالات بين الطرفين تتم عبر طهران في ظل حكم الشاه، وعبر العواصم الأوروبية، خاصة في باريس ولندن. وزعيم الأكراد – آنذاك – مصطفى البرزاني زار «إسرائيل» مرتين والتقى القيادات «الإسرائيلية» وقيادة «الموساد» في الستينات.

نستعرض هنا بعض مراحل هذه العلاقة، وأهم المحطات التي مرت فيها:

1 – في 15 نيسان 1965 عقد رئيس الحكومة «الإسرائيلية» ليفي أشكول اجتماعاً حضرته وزيرة الخارجية غولدا مائير ورئيس الأركان اسحق رابين ورئيس «الموساد» مائير عميت الذي طرح قضية الأكراد والأعمال الخاصة التي تقوم بها «إسرائيل»، وخلص الاجتماع إلى قرار نص على ضرورة منح الأولوية للقضية الكردية.

بعد خمسة أيام من هذا الاجتماع أبلغ مصطفى البرزاني «إسرائيل» عن طريق إيران أنه معنيّ بالاجتماع مع مبعوث «إسرائيلي» رفيع في كردستان، أيضاً على استعداد لإرسال مبعوث رفيع من قبله للاجتماع بممثل «إسرائيل» خارج كردستان.

2 – في مطلع عام 1966 التقى البرزاني المستشار «الإسرائيلي» ليوشع روني، وبعد هذا الاجتماع حضر «الإسرائيليون» إلى محور رواندوز الحاج عمران شمال العراق بقيادة تسوري ساجي... وتوالى ضباط «إسرائيليون» مجيئاً إلى المنطقة، وأقامت «إسرائيل» للأكراد مستشفى ميدانياً تحت إدارة الدكتور برلسنر، وأضحى الطريق مفتوحًا إلى «إسرائيل» أمام القادة الأكراد عبر إيران.

3 – زيارة البرزاني لـ«إسرائيل» في عيد الفصح العبري المسمى «بيسح» في منتصف نيسان 1968.

4 – تشكيل «السافاك» و«الموساد» جهاز استخبارات كردياً ذكياً جداً لجمع معلومات عن الحكومة العراقية والأوضاع العراقية والقوات المسلحة.

5 – عام 1972 كان الأكراد ينقلون معلومات شاملة حول الجيش العراقي إلى كل من الاستخبارات الإيرانية و«الإسرائيلية» وعثر على وثائق تؤكد علاقة الأكراد بالسفارة «الإسرائيلية» في باريس وجاء اثنان من الأكراد وقدّما نفسيهما وطلبا الاجتماع بممثل «الموساد» ويدعى مناحم نعوت.

6 – الزيارة الثانية التي قام بها مصطفى البرزاني لـ«إسرائيل».

7 – معسكرات تدريب أكراد شمال العراق من رجال ونساء على حمل السلاح وذاك ما كشفت عنه صحيفة «يديعوت أحرونوت» حول قيام جنود «إسرائيليين» بتدريب النساء والرجال التابعين للبيشمركة وعرضت صورة امرأة كردية محجبة تتدرّب على أيدي جندي صهيوني.

في عرض تاريخي بسيط عن نشأة الإقليم الكردي الذي يمهد لقيام الدولة الكردية وبقراءة سريعة نلحظ:

● إبان حرب الخليج عام 1991 تمكن الأكراد من إقامة منطقة حظر جوي على الإقليم بذريعة حمايتهم من ضربات الجيش العراقي آنذاك.

● بدعم القوات الأميركية وقوات التحالف الاستعمارية ومساعدتها تمكنوا من إقامة منطقة حكم ذاتي معتمدين على قانون الفيدرالية الذي كرسه الغزو الأميركي للعراق.

● بعد الحوادث الأخيرة المشؤومة التي عصفت بالعراق وسيطرة «داعش» المريبة على مساحات كبيرة في شمال العراق وغربه وأهمها مدينة كركوك وانسحاب القوات العراقية منها بدعم سعودي مشبوه وتغطية أعرابية وصهيونية وأميركية وعثمانية وخيانة أدوات النظام العراقي البائد، وعمل استخباري سلجوقي، وتسعير طائفي بغيض، وتشكل حالة من الفراغ الأمني الكبير والمخيف في مناطق الصراع أو الاختلاف مع الحكومة المركزية في بغداد، سارعت قوات البشمركة التابعة لإقليم كردستان إلى السيطرة على العديد من المناطق التي تخضع لنظام الاستفتاء، بحسب المادة 140 من الدستور العراقي، لتثبيت النقاط وفرض نظام الأمر الواقع، بتغطية أميركية وتأييد «إسرائيلي» أعلن عنه جهاراً رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نيتنياهو الذي أكد دعمه نيل الأكراد استقلالهم، ما يؤكد المعلومات السابقة حول وجود تعاون اقتصادي وعسكري قوي بين «إسرائيل» والإقليم الكردي الذي تشكل فيه كركوك العقدة الأساسية والأهم لتفعيل خط كركوك ـ حيفا، وتكريس جديد لتقسيم العراق طائفياً إذا اعتمد الشيعة والسنّة في العراق الفيدرالية وطالبوا بتشكيل فيدراليات طائفية جديدة تفتت العراق وبعده المنطقة، ما الذي يؤكد حماية محيط الأمن القومي الصهيوني وتزويد الكيان الطاقة ودعم تفوقه، بعدما أقدمت سلطات الأقليم الكردي على استباق ممارسة هذه الأعمال عبر إبرامها عقود بيع النفط العراقي منفردة لتركيا وغيرها، تمهيداً لتكريسه شرعياً وقانونياً وحقاً مكتسباً ببيعه الكيان الصهيوني عبر تفعيل خط كركوك – حيفا، والأهم في تكريس هذا التفتيت كسر حلقة الوصل بين إيران وسورية وصولاً إلى لبنان.

ندخل من هنا إلى الساحة اللبنانية لتأكيد ترابط المشروع الصهيوني ـ الكردي ـ الوهابي، إذ تم تنشيط الخلايا «الداعشية» وعودة الإرهاب الصهيو ـ وهابي لضرب الأمن والاستقرار في لبنان مجددا، وربما يتم تحويل لبنان من أرض «نصرة» إلى أرض «جهاد»، لمزيد من إشغال المنطقة وتعميتها عما يجري في إقليم كردستان وسرقة العراق، والتغطية على ضرب المقاومة في فلسطين المحتلة، في محاولة لإطفاء جذوة الانتفاضة الثالثة التي باتت أقرب قاب قوسين أو أدنى إن استمرت الأوضاع في المنطقة على ما هي عليه من إرهاب وتدمير، وبعد التقدمات الساحقة للجيشين العراقي والسوري في كلتا الساحتين، فلا يظنن أحد أن ما تقوم به هذه الكيانات الوهابية والكردية والصهيونية في المنطقة يمكن أن تعبر بنا إلى تقسيم جديد وتفتيت المفتت، فـ«الشواية» بدأت تنقلب عليهم بأيديهم، وما كان مشروعاً للتقسيم بدأ يتحول تدريجياً إلى مشروع تشبيك ممتد من طهران إلى الضاحية الجنوبية، ولنا في التشييع الأخير للجندي الإيراني التابع للحرس الثوري في طهران والإعلان الإيراني أنه استشهد أثناء أداء واجبه في العراق.

نقول في الخلاصة انتظروا التشبيك الذي لطالما نادينا به، وانقلاب السحر على الساحر...

التهدئة بأعين فلسطينيّة

■ هاني جودة

فاقت المجازر «الإسرائيلية» تلك التي ارتكبت عام 1948 في دير ياسين إبان إعلان قيام دولة الاحتلال، وهي ترتكب يومياً في خان يونس والشجاعية ومخيم جباليا وبيت حانون. إثنان وعشرون إنساناً كانوا مجتمعين في ساحة الشهيد أنور عزيز في مخيم جباليا قصفوا وقطعوا بعدة صواريخ من طائرة F16، إلى مجزرة في المكان نفسه في حق النازحين في مدرسة أبو حسين أودت بحياة أكثر من خمسة وعشرين شهيداً وعشرات الإصابات. هدنة إنسانية غادرة لأربع ساعات جعلت سكان حي الشجاعية المختبئين تحت ما تبقى من منازلهم يهرعون الى السوق هرباً من الجوع، ليقصف سوق الشجاعية وتحدث مجزرة تفوق التصوّر البشري، إذ بلغ عدد الشهداء سبعة عشر شهيداً وأكثر من مئتي إصابة خطيرة في معظمها. وحي الجرن في منطقة جباليا البلد ليس بعيداً عن المجازر، كذلك خزاعة وعبسان، إذ سقطت على الجرن خلال أربع ساعات فحسب ثلاثمئة وخمسون قذيفة دبابة بعضها ارتجاجي والآخر مسماري. وكاميرات تمنع من تصوير حجم الدمار في خزاعة والشجاعية وبيت حانون، وأحياء سُوّيت تماماً بالأرض. حجم آلة الدمار والإرهاب «الإسرائيلية» المدعومة مالياً وعسكرياً وبشكل مباشر من الولايات المتحدة ويحميها صمت عربي يعكس خصام النظام العربي الرسمي مع حركة حماس على حساب دماء الأبرياء والمدنيين في قطاع غزة. هذا الخصام وضع هالة من الضباب أمام الجماهير العربية كي لاترى حقيقة ما يحصل في غزة، بل نفتخر كفلسطينيين بالتضامن الإنساني الشعبي والرسمي من دولة بوليفيا التي جعلت «إسرائيل» دولة إرهابية.

تعتبر الورقة المصرية الأرضية الوحيدة التي قدمت لإنهاء الحرب على غزة، لكن هذه الورقة لم ترتق إلى مستوى تطلعات الشعب الفلسطيني وقيادته، والمتفحّص في بنود الورقة المصرية يراها تحضّ الطرفين على وقف إطلاق النار، أي أنها توازي بين الضحية والجلاد! وبين الأسلحة الخفيفة والإمكانات المتواضعة التي في يد المقاومة الفلسطينية وأكثر أنواع الأسلحة العالمية تطوراً وفي يد الدولة الرابعة لناحية القوة العسكرية في العالم!

أنوّه بأن اتفاقية التهدئة التي أبرمت بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال بوساطة مصرية عام 2012 قامت على مبدأ الهدوء مقابل الهدوء، وأنّ حرب عام 2008 انسحبت منها «إسرائيل» على نحو أحادي، وأن معظم جولات الحروب منذ عام 2006 حتى اليوم تصرّفت بها «إسرائيل» بمنطق العربدة وقمة الإرهاب تخترق التهدئة متى تشاء وتنسحب من المواجهة متى تشاء، وكان هناك في تلك الفترة انقسام فلسطيني منع إدارة أي حرب ومواجهة مع الاحتلال من الخروج بنتائج تعبّر عن روح الإجماع الفلسطيني.

هذه المرة أقدمت «إسرائيل» على حرب إبادة كاملة ومنظمة قابلها الفلسطينيون بمقاومة موحدة ومنظمة بأسلحة متواضعة وبقرار وخطاب سياسي متكامل ومتواز وواحد، فخطاب مشعل ومحتواه وخطاب رمضان شلح هو نفسه الذي تبنته قيادة السلطة، بل إنّ الأهداف والمطالب واحدة، وتكلل ذلك بتفويض من قبل المقاومة وقيادتها لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية خوض غمار معركة سياسية توصل الشعب الفلسطيني، خاصة في غزة للهدوء ووقف العدوان ورفع الحصار الظالم.

لا شك في أنّ الحوادث السابقة والراهنة في مصر ترمي بظلالها على علاقة حماس بمصر، كذلك يجمع الفلسطينيون أنه لا يمكن أن يكون هناك أي اتفاق تهدئة بعيداً عن وجود مصر الدولة المحورية المهمة التي قدمت أكثر من ثمانين ألف شهيد دفاعاً عن فلسطين، وثمة خلاف أظهرته وكالات الأنباء عن إصرار حماس على أن يكون عدد ممثليها في وفد القاهرة خمسة، ما يخالف رغبة مصر، والحديث عن الوفد مضت عليه عدة أيام كان مفترضاً أن يشكل بأقصى سرعة ممكنة استجابة لمعاناة الفلسطينيين المنكوبين في غزة، إذ بلغ عدد النازحين بحسب تقديرات وكالة الغوث أكثر من ثلاثمئة ألف يعيشون جميعاً أسوأ الظروف وأشدّها هولاً.

جبهة العدوان والمجلس الوزاري المصغر للاحتلال متخوّف من استمرار إطلاق الصواريخ المحلية من غزة، وأيضاً من الأنفاق، وإلى الآن لم تحقق «إسرائيل» أي هدف لها من عملياتها ضدّ القطاع، وتذهب لاستهداف المدنيين ولإيقاع خسائر بشرية فحسب، ويفشل «الكابينيت» في اتخاذ قرارات في شأن الحرب البرية ومستقبلها بسبب الجبن والخوف، والنوم في المجاري زاد وطال بلا فائدة، وثمة نداءات داخلية لوقف الحرب على غزة والانسحاب، لكن التحدي يكمن في ما سيقول الجيش عندما ينسحب وتستمرّ المقاومة في هجماتها الانتقامية؟ اذن لمَ أفادت «إسرائيل» من الحرب سوى الخسائر الاقتصادية الهائلة وموت عشرات الجنود، لذا كان الطرح «الإسرائيلي» وقف إطلاق النار المتبادل على نحو كامل مع بقاء القوات البرية في المناطق الحدودية الشرقية والشمالية لقطاع غزة لتدمير باقي الأنفاق المكتشفة، وهذا المطلب مرفوض بإجماع فلسطيني.

تفاقمت الأزمة الإنسانية والصحية في قطاع غزة. الشوارع ملأى بأكوام كبيرة من القمامة، والرعاية الصحية معدومة في القطاع الصحي إجمالاً فالمستشفيات لا تستطيع أصلاً استيعاب الأعداد الهائلة من الإصابات اليومية، وهي في الغالب خطيرة جداً. وفي غزة لا نتحدث عن نزوح عائلة بل عن أحياء ومناطق كاملة، أي لا معسكرات إيواء تكفي ضمن مساحة غزة الصغيرة والمكتظة، والمكان الوحيد هو المدارس، وقدّر عدد النازحين في كلّ مدرسة بثلاثة آلاف نازح، وهي ليست بعيدة عن دائرة الاستهداف الإرهابي للاحتلال. وقصفت «إسرائيل» محطة توليد الكهرباء الوحيدة في القطاع، وقطعت الخطوط الكهربائية المصرية القادمة عبر رفح بفعل القصف. إذن، تحاصر أهل قطاع غزة أزمات متفجرة أولها آلة الإرهاب الحربية «الإسرائيلية» وانعدام الخدمات الصحية ومشاكل الكهرباء والمياه والغذاء وتفاقم مستوى الفقر والرعاية الصحية، ما يجعلنا مقدمين على أزمة بيئية وأمراض بتكامل بين الغازات السامة التي يرميها الاحتلال على التجمعات السكانية وبين أكوام القمامة التي تنتشر وتتزايد في الأزقة والأحياء السكنية، والأزمة الإنسانية من التحديات التي تطرح إلى كلّ طاولة لإعلان وقف إطلاق نار وإعلان التهدئة.

اليوم يقف الفلسطينيون في غزة والضفة المحتلة أمام التحدي: ما هي النتائج التي سنجنيها من الحرب؟ غول الاستيطان يأكل الضفة، والحواجز تشوّه شكل الانسان والطبيعة، والحصار يخنق غزة منذ أعوام ثمانية، وحكومة العدو الإرهابية تتعنّت وتوغل في إرهابها المنظم، أي اتفاق تهدئة يجب أن يراعي المعاناة اليومية الفلسطينية بعيداً عن المصالح الحزبية. نحن سعيدون بالموقف الفلسطيني الموحد الآن، وندعو إلى أن يكون دوماً هكذا، خاصة أمام آلة الإجرام المعادية.

«داعش» وتصفية الوجود العربيّ المسيحيّ

■ راسم عبيدات ـ القدس المحتلة

لا بد من القول بدءاً إن الأمم والشعوب تموت عندما تكثر فيها المذاهب والعشائر، وتحيا عندما تموت فيها العشائرية والمذهبية. ولا بدّ من القول كذلك إن المشروع الاستعماري الآن وفق المخطط والمدبر من قبل الغرب الاستعماري المجرم، هو إدخال المنطقة العربية في أتون الفتن المذهبية والطائفية، واستخدام أدوات محلية لتنفيذ هذه المهمة التي أسندت الى الحالمين بـ«الخلافة» على حساب الدم والجغرافيا العربية، أي الأتراك ومشيخات النفط والغاز وتحديداً السعودية، المفرّخة والدفيئة للتكفيريين والوهابيين. والمخطط نُفّذ على أرض الواقع بعد ما سمّي اصطلاحاً بـ«الربيع العربي» إذ راحت مشيخات النفط وجماعة التتريك تموّل وتسلّح وتحتضن وتدعم تلك العصابات المجرمة من «قاعدة» و«نصرة» و«داعش» وسلفيّات أخرى، بل عملت على ضخ احتياط بشري هائل من تلك العصابات من مختلف دول العالم، وبخاصة من الدول العربية والإسلامية، وكان الضخ في البداية الى سورية لتدميرها وتفكيكها دولة وجيشاً وقيادة ومجتمعاً ومؤسسات، وبعد فشل المشروع هناك انتقل الضخ الى العراق لتنفيذ مخططات التقسيم والتفتيت المذهبي والطائفي تحت يافطة وذريعة «إنصاف وحماية الجماعات السنية المهمّشة»، ولكن المخطط أبعد من ذلك بكثير، فهو استخدام العنف الإسلامي في مواجهة الدول الوطنية والمجتمعات التي تريد أن تنهض وتتطور.

بدأت هذه العصابات الوهابية التكفيرية مسلسل قتلها وإجرامها وفق مخطط مدروس وممنهج في مدينة الرقة السورية على الحدود العراقية، حيث فرضت ما يسمى بـ«الجزية» على أبناء شعبنا العربي السوري المسيحيين وبلغ قدرها 13 غراماً ذهباً للغني ونصفهما للدخل المتوسط والربع للفقير، كما مُنع المسيحيون من أداء صلواتهم وعباداتهم وبناء كنائسهم وأديرتهم وخيّروا بين البقاء على دينهم ودفع الجزية أو الدخول في الإسلام أو المحاربة والقتل والتهجير. وبعد الرقة السورية نقلت «داعش» ساحة عملياتها بتحالف ودعم مباشرين من تركيا والسعودية الى العراق، فـ«داعش» و«النصرة» و«القاعدة» منتج واحد للمصنع التركي ـ الناتوي نفسه، ولا فرق في ما بينها، إلا في الدور والمهمة والوظيفة والمهمّات المنوطة بها كمجموع ليس فقط العمل على تصفية الوجود الوجود العربي المسيحي في المشرق العربي بل وخلق فتنه مذهبية شيعية – سنية وقتل وذبح وتهجير الإثنيات والقوميات الأخرى غير السنية، والهدف منع تبلور وتطور أي مجتمعات ودول وطنية ومدنية، وخلق ثارات وجروح عميقة بين فئات المجتمع لا يمكن أن تندمل لعشرات بل مئات السنين، وضمن هذا المخطط تمّ ذبح وطرد وتهجير مسيحيّي الموصل (25 ألف مسيحي) للمرة الأولى في التاريخ، فهم موجودون هناك منذ أكثر من ألفي عام، ووضعتهم «داعش» أمام الخيارات نفسها التي وضعت فيها مسيحيي الرقة السورية، وقتلت المئات منهم وحرق كنائسهم وأديرتهم وفجّرتها، كما نبشت مزارات ومراقد الأنبياء مثل النبي يونس ودمّرتها، ولعمليات القتل والتدمير والحرق دلالات علينا فهمها جيداً، فهم يريدون أن تصبح عمليات هدم المساجد وحرقها مسألة عادية، ما يجعل أي عملية هدم وتدمير من قبل الاحتلال الصهيوني للمسجد الأقصى مستقبلاً أمراً عادياً، مثلما قال السيد حسن نصرالله عمليات القتل والإبادة الجماعية سواء للمسيحيين أو المسلمين شيعة وغيرهم، وكانت مقدمة لما يحصل في قطاع غزة، بحيث تصبح عمليات القتل التي يقوم بها الاحتلال هناك لشعبنا وأهلنا عادية ومشروعة، طالما يقتل العرب والمسلمون بعضهم البعض الآخر، ما يمهّد لنظرية جديدة عن «دم مقدس» و«دم غير مقدس».

لم تكتف «داعش» بجرائمها هذه فحسب، بل أمعنت في ذلك عبر دعوة سكان الموصل إلى تقديم بناتهم ونسائهم لما يسمى بـ«جهاد النكاح الجماعي»! ومن يتخلف أو يرفض يُقتل، وذهبت أبعد من ذلك عندما هدد «خليفتها» المُنتَج الأميركي أبا بكر البغدادي، الذي كشفت الاستخبارات الإيرانية أنه صهيونيّ يريد هدم الكعبة تحت ذريعة أن الناس أصبحوا يعبدون الكعبة وليس الله، في ارتداد واضح لهذا الإجرام والإرهاب الى قلب دفيئة الإرهاب وحاضنته السعودية.

هذه العصابات المجرمة المتمسّحة والمتاجرة بالدين وعواطف الناس ومشاعرها والدخيلة على فكرنا وواقعنا وقيمنا، ما كان لها أن تنمو نموّ الطحالب في المياه الآسنة والدرن السرطاني في الجسم، لولا وجود حواضن وداعمين لها من دعاة الفكر الوهابي، وهي التي تسيء إلى الدين وتشوّهه وتنفّر الناس منه في فعل ممنهج ومبرمج، إذ لم تقرأ تاريخ الديانة الإسلامية وعلاقتها بالمسيحية الشرقية، ولم تقرأ لا تاريخ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا تاريخ قبيلتي المناذرة والغساسنة ودورهما في نصرة الإسلام والمسلمين، وجميعنا يعرف البطل العربي السوري جول جمال عندما شنّ العدوان الثلاثي البريطاني– الفرنسي و«الإسرائيلي» على مصر العروبة عام 1956، كيف نفذ أول عملية استشهادية وفجّر نفسه بقاربه المحمّل بالمتفجرات في الطرّاد الفرنسي «جاندارك» ممهّداً لنصر مصر العروبة على العدوان الثلاثي وهزيمته، وجميعنا يذكر المناضل القومي العربي السوري فارس الخوري، ومواقفه حيال الجنرال الفرنسي غورو حين أبلغه «أن فرنسا جاءت إلى سورية لحماية مسيحيّي الشرق» فما كان منه إلاّ أن قصد الجامع الأموي في يوم جمعة وصعد إلى منبره ليقول: «إذا كانت فرنسا تدعي أنها احتلت سورية لحمايتنا نحن المسيحيين من المسلمين، فأنا كمسيحي من هذا المنبر أشهد أن لا إله إلا الله» فأقبل عليه مصلو الجامع الأموي وحملوه على الأكتاف وخرجوا به إلى أحياء دمشق القديمة في مشهد وطني تذكّرته دمشق طويلاً وخرج أهالي دمشق المسيحيين يومذاك في تظاهرات حاشدة ملأت دمشق وهم يهتفون لا إله إلا الله... كانوا مسلمين ومسيحيين من أبناء هذا الوطن ولم يكونوا عملاء الأطلسي مثلما حصل في أفغانستان، ولا أطفال «الناتو» كما في ليبيا، ولا أيتام قوات التحالف المحتل كما في العراق، ولا عيوناً للموساد كما فعل البعض ويفعل في لبنان.

هؤلاء هم مسيحيو الشرق الذين نعرفهم ونعرف تاريخهم ونضالاتهم وتضحياتهم وبصماتهم، فبصماتهم موجودة وواضحة في جوانب حياتنا كافة وفي تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا وأدبنا وفلسفتنا وثوراتنا ونضالاتنا. لهم في العمل الوطني والسياسي، ولهم في الثقافة والتاريخ، ولهم في الحضارة والفلسفة، ولهم في الأدب والتراث... إلخ. هم ليسوا لا دخلاء ولا غرباء في وطنهم، وهم ليسوا أقلية في وطنهم بل هم جزء أصيل من هذا العالم العربي وملح هذه الأرض.

يتعرّض مسيحيو الشرق اليوم لظلم واضطهاد وقتل وتشريد وتهجير على يد عصابات مجرمة تحسب نفسها على الإسلام، من «داعش» الى «النصرة» فـ«القاعدة» وغيرها مدعومة من قوى غربية واستعمارية، تلتقي معها في الهدف والمخطط: طرد مسيحيي الشرق وتهجيرهم.

بلى، إنها حملة ظالمة تطول جميع مسيحيي الشرق وتدمر الفسيفساء والنسيج الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية لكي تحوّلها الى دول دينية فاشية عمادها المذهبية المتصارعة والمغرقة في التخلف والجهل والإقصاء والتطرف، والراغبة في عودة مجتمعاتنا الى القروسطية، فهذه الجماعات المتطرفة هي ضد الحضارة والتطور، بل ضد كل ما هو بشري وإنساني.

لكن رغم ما يتعرض له مسيحيو الشرق من قتل على الهوية واعتداء على كنائسهم وأديرتهم وأماكن عبادتهم، وحتى من قتل للرهبان والمطارنة واختطافهم، مثلما حدث مع مطارنة حلب وراهبات معلولا السورية، لم نجد بين مسيحيي الشرق من يعلي كنيسته فوق الوطن أو فوق الانتماء القومي. بينما نجد في المقابل العديد من القوى والأحزاب الإسلامية مثل حركة «الإخوان المسلمين» وما يسمى بـ«السلفية الجهادية» و«حزب التحرير» و«داعش» تعلي طائفيتها فوق وطنيتها وقوميتها، بل فوق الإسلام نفسه، ففي إطار الفتنة المذهبية التي تقودها مشيخات النفط والكاز الوهابية التكفيرية يتمّ تكفير الشيعة وشيطنتهم وعدم الاعتراف بإسلامهم، ولنا مثال حي على ذلك عندما وصلت حركة «الإخوان المسلمين» الى الحكم في مصر وسعت الى «أخونة» الدولة والسلطة والمجتمع المصري وجعلتها فوق الوطن والقومية. في حين سعت المسيحية بجميع طوائفها في المشرق العربي بناء على فلسفتها وثقافتها الى التسامح و«العيش المشترك».

أستغرب كيف يقف رجال الدين والمؤسسات والمرجعيات الدينية ورجال الفكر والثقافة والسياسة والإعلام والصحافة موقف المتفرج أو الموافق ضمناً على ما تقوم به تلك العصابات المجرمة، فهذا خطر داهم على الجميع، ليس على المسيحيين العرب وحدهم، بل على العرب والمسلمين قبل سواهم. يجب ألا يعمي البعض بريق الدولار وأموال مشيخات النفط والكاز، إذ عليهم مواجهة هذا الخطر الداهم واجتثاثه قبل أن يتفشى في الجسد العربي والإسلامي مثل السرطان، فما حدث في الرقة السورية والموصل العراقية، هو ناقوس خطر للجميع، لكلّ قوميّ وعربيّ.

حوار: عن اليسار وأمراض أخرى

■ شادي بركات*

يشير المنبه الصوتي الى وصول رسالة على البريد الفيسبوكي.

انه صديقي الهادئ،

ولكن هذه المرة ليس بهادئ: «خلقو طالع»... يبحث عن «حدا يفشلو خلقو باليسار العامل عند سمو الأمير برميل النفط».

مستاء من بعض وسائل الإعلام المحسوبة على منظومة المقاومة وسلوكها الشبيه بسلوك الجزيرة «عم يعملولهم رافعة ما بتفهم».

يصمت قليلاً... ثم يلعن أحد مقدمي البرامج «الثقافية» على إحدى القنوات المنتشرة حديثاً.

المنطق بثلاث مفاصل:

لما بدء مشروع لبننة الحزب الشيوعي برزت كوادر خارج الحالة المقاومة تعمل بالأدب والعلوم والفنون بدعم من الدولة اللبنانية وبتسهيل منها (غزوة الاعلام)، كان ذلك بإدارة جورج حاوي... طبعاً لن يستسيغ هذا الكلام كتير من الناس، حتى المقتنعين به، فبرأيهم ليس هذا وقته... لكن لصديقي رأي آخر: هنا بدأت المشكلة.

هم اليوم انتقلوا من المحرّك القطري (الذي يبحث عن أدوات جديدة)، الى محرّك من منظومة المقاومة.

يعملون تحت ادارة الراعي (المحرّك) المهادن لمشيخات النفط بعيداً عن انتقاد السياسات الرجعية العربية، هنا دورهم ولا يجيد الدور سواهم: البكاء والبكاء والانفعال السلبي أمام كل القضايا، فلا يختلفون اليوم أبداً عن مشروع المنظمات الخادمة لشركات النفط «زيهم زي داعش»، مفاصلهم الثلاث ترتكز كونهم:

ضدّ سورية ومع خرابها.

مع فلسطين لكن دون مقاومة.

لا يهاجمون المصالح الخليجية أبداً.

يتوقف الحديث مجدداً، ليرسل لي ضحكاته الطويلة «خلص فشيت خلقي معك هون»، وكأنه يقول هل من جدوى في الكلام؟ فشة خلق.

الظاهرة واضحة عند كل قارئ، نفس الأجهزة تريدنا «زيهم» كمثل هذا اليسار، نختلف على الديمقراطية وانبثاق السلطة... لنفرز نفس النتائج.

هي الأمة مشتعلة والحرب على امتداد الوطن وعلى كافة الجبهات... وأمام الحاجة الى اطلاق حركة تحرر وطني شاملة تتحوّل الأزمة الى اشكالية إدارية، ونظم دستورية! لتنتج لنا أحزاب ترقص في اعتصام تضامني مع الأسير جورج عبدالله وتفرز لنا مناضلين تركوا البنادق والقاذفات وحملوا الكاميرات وأطلقوا المدونات.

لا شيء في علم الإجتماع السياسي يمكن أن يفسّر احتواء الاعلام اللبناني والعربي لهذا الكمّ الهائل من الصحفيين والمنظرين التافهين من اليسار بحقبة الحرب الباردة، كان جوهر توظيف هذا الاعلام ضرب المنظومة الشرقية وهم بداخله.. تظهير مشهد: مقاوم ضد مقاوم! شغلة غريبة.

الغباء ان الاعلام السوري على امتداد مسيرته وقع بنفس الفخ، حيث أخذ القرار بفتح المجال الإعلامي لكوادر اليسار في إعلامه الرسمي ليتقدم على كوادر لديها بوصلة واضحة عتّم عليها بشكل كامل، باستثناء الماغوط الذي فتحت له بعض القنوات على هذه المساحة الإعلامية... وبأي ثمن دفعه الماغوط.

العجيب ان رأس المال الاعلامي في الشام والمملوك لشخصيات فائقة الثراء والترف تواصل استحضار هؤلاء وتلميعهم واستثمار وجودهم. ولا ندري من خان طبقة ما وفق التحليل الماركسي.

هنا كأي مكان آخر في أعتى النظم الغربية ادعاءً للتحضر: الاعلام يوجه. من دول وأجهزة.

فيما الخروقات على المستوى الإعلامي المفتوح التي تنفذها مجموعة شبابية عقائدية منظمة هي مجرد خروقات لا تدخل بالذاكرة الجمعية للناس.. بشكل أوضح: مهما بلغ حجم هذا المجهود الإعلامي، لا يساوي حلقة واحدة من مسلسل غربة أو من مشهد أحمد قعبور يغني على الميادين.

سايكس بيكو الطاعون والطاعون سايكس بيكو.

صحيح! ولكن سناء محيدلي قادرة على قلب المعادلة وحيدةً.

أكيد، حين يكون العقل العسكري يبحث عن اصطياد أرييل شارون عند غاليري سمعان، وليس القيام مؤتمر يطرح فيه اشكالية انبثاق السلطة لدى فصيل مقاوم!

وهكذا...

في كلّ حزب يوجد «يساري» كما في داخل كل انسان «داعشي».. هنا أيضاً تيار شبيه، دجّن من الأجهزة المحلية.

يبدي صديقي انزعاجه من بروباغندا تكريم نبيل العلم التي اقيمت في الحمرا.

المناسبة بحدّ ذاتها ليست الإشكالية، ولكن استحضار المنظيمن لأناس هدفهم المزايدة على التيار المقاوم وهم ولا لمرة واحدة كانوا ضمن جهد المقاومة، ولا لمرة كانوا على لائحة إرهاب دولية، ولا لمرة تعرّضوا لمحاولة اغتيال أو قصف طيران العدو مقراتهم ومواقعهم... لنتعلم اذاً كيف يحضر السمّ في العسل.

بالمحصّلة هي عملية جراحية دقيقة لتحويلها من حرب الحديد بالحديد والنار بالنار الى مقاومة إضاءة الشموع.. كحدّ أقصى.

ولكن أليست المشكلة في العقل الذي ما عرف إدار اللحظة فاستفاد منها العدو؟ تفسير وشرح هذه الظاهرة يصب في تفكيك هذه الحالة وغيرها من سنفونيات البكائين.

مثلاً جماعة «العمّ» هم حالة مدجنة قديمة من الأجهزة اللبنانية..

جورج عبد المسيح يعتبر بشير الجميل قُتل على يد «الاسرائيلي»، لديه كوادر نسّقوا مع «القوات اللبنانية» يوم اجتيحت بيروت.

وهكذا..

هؤلاء كانوا يكرّمون نبيل العلم!

(في المعارك الوجودية عند الانسان وعند الحيوان والنبات وكل ما هو عاقل في الحياة العنف هو بوابة البقاء، العنف كما أي شيء في العالم عندما يعتنقه العقل يصبح قوة حياة، وعندما يرفضه العقل يعطل الحياة. عندما نقول في فكرنا أن القوة هي القول الفصل نعني مذهباً فكرياً قومياً يفهم كيف يطوّر العنف في الانتفاض لمصلحة حياة الأمة، لذلك نحمل في هذه القوة تفوقنا القيمي والأخلاقي)

*ماجستير في إدارة المنظمات الإلكترونية
Shadibarakat@live.com